الفصل الأول

مفهوم الإعاقة الذهنية

تعريف الإعاقة الذهنية:

هـى حالة نقـص أو تأخر أو توقف النمو العقلـى المعرفى، يولد به الفرد أو يحدث فى سن مبكرة نتيجة لعوامل وراثية أو مرضية أو بيئية ممـا يؤدى إلى الإعاقة.. ومن المعروف أن مسـتوى الذكاء ينمو ويزداد بسـرعة فى السنوات الأولى من حياة الفرد، ثم يزداد بخطى ثابتة من ١٣-١٥ سنة، ثم يبطؤ نموه تدريجيا من ١٦ - ١٨ سنة.

الإعاقـة الذهنية: ظاهرة إنسـانية عامة لا يخلـو منها مجتمع من المجتمعات أو طبقة من الطبقات.. قد يستخدم لها العديد من المصطلحات مثل: الإعاقة الذهنية أو التخلـف العقلى أو الضعف العقلى أو التأخر العقلى أو القصور العقلى. ونلاحظ أن جميعها تعطى نفس المعنى.

الفرق بين الإعاقة الذهنية والمرض العقلى:

يظن الكثيرون أن المُعَوّق ذهنيا والمريض عقليا شىء واحد.. ويعتبرون أن المَعَوّق ذهنيا على هذا الأساس يمكن شفاؤه من مرضه كالمريض عقليا..

ولكن الواقع غير ذلك.. وإن كان هناك بعض الحالات الطفيفة التى تجتمع فيها الإعاقة الذهنية والمرض العقلى فى شخص واحد:

١ - فالمرض العقلى: نتيجة لاختلال التوازن العقلى وعدم انتظام القوى العقلية لسبب ما يندر ألاّ يكون مرضا عضويا مكتسبا (يصيب المخ)..

● أما الإعاقة الذهنية: فهى نقص فى درجة الذكاء، وغالبا ما يكون موروثا، إذ هو توقف فى نمو المخ إلى حد ما يختلف باختلاف درجة التخلف.

والفرق بين ناقص الذكاء (معُوّق ذهنيا) وبين الشخص العادى فرق فى الدرجة وليس فى النوع.

٢ - الإعاقة الذهنية شذوذ موروث غالبا يمكن ملاحظته من أيام الطفولة.

● أما المرض العقلى فشذوذ مكتسب ينتج أثناء الحياة فى فترة من فتراتها.

٣ - الشخص المصاب بالإعاقة الذهنية هو الشخص الذى لا يسير نموه العقلى بصورة طبيعية تتناسب مع نموه البدنى، ومع غيره من الأطفال الذين هم فى مثل سنه.

● أما فى حالة المرض العقلى (أو ما يعرف أحيانًا «بالجنون»). فإن الطاقة أو الذكاء أو القدرة العقلية تكون موجودة بالفعل.. ولكن

يوجد مرض أو اضطراب – يرجع إلى أسباب وراثية أو أزمات نفسية يواجهها الفرد فى المجتمع – يجعل المريض شاذا فى تصرفاته أو عاجزًا عن استخدام هذا الذكاء.. وهذا لا يمنع من أن الطفل المعوّق ذهنيا إذا وضع فى المواقف التى تتطلب منه تأدية أكثر مما يحتمل أو يقدر عليه فإنه يتعرض لأزمات نفسية وعاطفية حادة وكثيرة. من شأنها أن تعرقل وصوله إلى أقصى حدّ مناسب من التكيف. وفى هذه الحالة نلمس تقدما ملحوظًا إذا أتيحت الفرصة للطفل الذى تعرض لمثل هذه الأزمات، لأن يعيش فى بيئة تشعره بالسعادة، وبأنه شخص مرغوب فيه يستمتع بحب الآخرين.. وهذا يعنى أن المشاكل العاطفية التى تعرض لها قد تلاشت وذابت من هذه البيئة.. وأنه أصبح قادرًا على استخدام ذكائه بدرجة معقولة.

● ومع ذلك: فإن الشخص المصاب بالمرض العقلى قد يكون متمتعا بذكاء طبيعى تماما ولكن الأزمات التى تعرض لها كانت جسيمة إلى درجة يترتب عليها أن تصبح تصرفاته غير طبيعية تجعل الغير يصفه بالجنون. وبالعلاج يمكن أن يتحسن.

تأثير إصابة المخ بأى مرض:

إذا أصيب مخ الطفل بمرض أو إصابة أثناء مرحلة الطفولة فإن الأثر الذى يبقى ظاهرا هو تأخره الفكرى من جميع نواحيه مما يستحيل معه العلاج. وقد أصبحت الإعاقة الذهنية تعنى توقف النمو العقلى

أو عدم اكتماله قبل سن الثامنة عشرة سواء كان نتيجة الوراثة أو نتيجة مرض أو إصابة.

اختلاف المعوّقين ذهنيا عن العاديين:

يختلفون فى درجة الذكاء وليس فى النوع. فإنهم طبقا لهذه الحقيقة أفراد لهم نفس العقول التى للأفراد العاديين، ولكنهم أقل منهم إنتاجًا وإدراكًا.. فاستعدادهم للتعليم أقل، وتذكرهم أبطأ، أضف إلى ذلك. أنهم يُفكرون بصعوبة كبيرة.

اختلاف بعض المعوّقين ذهنيا عن بعضهم:

تختلف سرعة نمو الذكاء بين الأطفال كاختلاف الطول والوزن.. وكما قد يحدث بطء أو تخلف فى نمو الطول.. فقد يحدث أيضا بطء أو تخلف فى نمو العقل والذكاء. فكما نجد طفلا فى الثامنة من عمره لا يزيد طوله على طفل عمره أربع أو خمس سنوات.. فقد نجد طفلا فى الثامنة من عمره لا يزيد فى نمو عقله وذكائه على ذكاء طفل عمره أربع أو خمس سنوات.. وكما نقول: إن الطفل الأول قصير أو قزم أو متخلف فى الطول عن زملائه ممن هم فى مثل سنه.. نقول: إن الطفل الثانى معوق ذهنيا عن أمثاله من الأطفال الآخرين.

والإعاقة الذهنية درجات: كما أن التخلف فى النمو – فى المعدل – درجات أيضا فكما أن هناك الطفل القصير جدًا والأقصر منه والطفل

القــزم فهناك أيضًا الطفل الذى يعانى من إعاقة ذهنية بســيطة والطفل متوســط الإعاقة فى نموه الذهنى والطفل الــذى يعانى من إعاقة ذهنية شديدة.. الخ.

تأثير الإعاقة الذهنية على الفرد:

الإعاقــة الذهنية للفرد تؤدى إلى نقص الذكاء بدرجة لا تســمح له بحياة مســتقلة أو حماية نفســه من مخاطر الحياة. إلا أن الفرد المعوّق ذهنيــا قد يفكر كما يفكر غيره، وقد يفهــم كما يفهم الآخرون.. ولكن على مســتوى أقل وبسرعة أبطأ، وهناك أمور يصعب عليه التفكير فيها أو فهمها.

وعلى ذلك: يمكننا أن نُعَرّف الطفل المعوّق ذهنيا بأنه أقل قدرة على الفهم وعلى التفكير عن الأطفال العاديين. وأقل إدراكا، وأقل اســتعدادًا للتعلم. كما أن قدرته على التذكر وعلى التركيز محدودة.

وتتضح أيضا آثار الإعاقة الذهنية فى ضعف مستوى أداء الفرد سواء كان هــذا الأداء فى المدرســة أم فى عمل يدوى يحتــاج إلى مهارة. كما تتضــح أيضًا فى قدرته على التوافق النفســى والاجتماعى، وفى قدرته على الأخذ والعطاء.

□□□

المفهوم العلمى للذكاء.. والإعاقة الذهنية

● **الذكاء والفروق الفردية:**

هناك فروق فردية بين الناس، وترجع هذه الفروق أساسا لاختلافهم فى الـذكاء، تلك القدرة التى تسـاعد الفرد على التكيـف مع البيئة، ومواجهة المواقف الجديدة، وحل المشاكل، وبالتالى تمكنه من التفكير المجرد واستعمال المفاهيم والرموز المختلفة للتصرف فى مواقف الحياة، ومن هذه الرموز اللغة والرموز العددية.

كمـا يمكـن تعريف الذكاء: بأنـه القدرة على القيـام بعمل مّا على درجـة من الصعوبـة أو التعقيد، أو يحتاج إلى درجـة من التجديد أو الخلق أو الابتكار.

● **الذكاء والتكوين الجسمى واختلاف الثقافة والبيئة:**

النظرة السائدة علميا أن الذكاء قدرة أو قدرات لها أساس بيولوجى، وأن اختـلاف الأفـراد فى معـدلات ذكائهم يرجع إلـى اختلافهم فى التكوين الجسمانى.. وبمعنى آخر أن الذكاء موروث وراثة بيولوجية.. ومـع ذلك فالذكاء ليس مجرد منحة جسـمانية لا تتأثـر بالبيئة التى يعيـش فيها الفرد.. فمعدل الـذكاء يتأثر بدرجة انتشـار الثقافة فى البيئـة التـى يعيش فيهـا.. لذلك فـإن ذكاء أهل الجبـال والصحراء

والواحـات وأهـل الريف يختلـف عـن ذكاء أهل المـدن عندما يقاس بمقاييس الذكاء، وذلك لاختلاف الثقافة والبيئة.

● **الذكاء واختلاف الشعوب والأجناس:**

لا تختلف الشـعوب والأجنـاس المختلفة من حيث توزيع نسـب الـذكاء الفطرى بين أفرادها، ولكنها تختلف فى البيئة والثقافة.. فلا الذكاء، ولا العبقرية حكر على أحد أو صفة لأفراد شـعب من الشعوب دون الآخر. ولا الغباء وضعف العقل لأفراد شعب أكثر من شعب آخر. بـل إنه ليس هناك فروق بين الملونين والبيـض أو الذكور والإناث من حيث توزيع معدلات الذكاء الفطرى بين الأفراد والشعوب المختلفة.

وكل ما يقال عكس ذلك يخدم سياسة لا صلة لها بالعلم ولا بالعدل.

أهمية تقنين اختبارات الذكاء محليا فى كل بيئة:

نتيجـة لاختـلاف ثقافات الشـعوب والبيئـات فـى المجتمعات المختلفـة، فإن مقاييس الذكاء فى مجتمع ما لا تصلح للاسـتعمال فى مجتمـع آخر. بل يجب تقنين الاختبـارات محليا فى كل بيئة. وهذه الاختبارات لها أهمية فى تشـخيص وتوجيه ذوى الإعاقات الذهنية. ذلك لأن الاتجاه العالمى لمفهوم الذكاء ينحو نحوا نفسيا وظيفيا يتلخص فى «القدرة على الأداء والقدرة على التعلم والتكيف».

● ومـن هنا كان تقنين اختبارات ذكاء محلية فـى كل مجتمع أمرًا له أهمية قصوى فى سياسة رعاية المعوقين ذهنيا فى أية دولة..

● وللخبرة الاكلينيكية وزنها الهام أيضا فى تشخيص حالات الإعاقة الذهنية، وخصوصا فى حالات غياب الاختبارات المقننة علميا على البيئة المحلية.. وحالات الشك فى نتائج الاختبارات أو تضاربها.

إذ إنــه فى العــادة يعطى للفرد عــدة اختبارات، فــإن لم تتوافق نتائجها جميعا أو على الأقل تتقارب فإن الشك يتطرق إليها.

أهم صفات المعَوَّقين ذهنيا:

– نقــص قدرتهم على الأداء، خصوصا القدرة اللغوية مما يؤدى إلى العجز عن التحصيل اللغوى، فى القراءة والكتابة.

– قصورهم فى القدرة الحسابية.

– قصورهم فى تقدير المواقف وتحمل المسئولية.

– عجزهم عن التكيف مع الكثير من المواقف الاجتماعية.

لذلك: يتحتم علينا اكتشاف حالات الإعاقة الذهنية مبكرًا وتأهيلهم علميا ومهنيا، وفقا لدرجة ذكائهم المحدود، بحيث يمكنهم مســتقبلا أداء أعمال تتفق مع قدراتهم حتى لا يصبحوا عالة على المجتمع، وحتى يتكيفوا اجتماعيا، ولا يصابوا بأمراض نفسية أو اضطرابات سلوكية. أو يساء استغلالهم من بعض المنحرفين سلوكيا.